

الحضور الإنساني في السرد الكولونيالي، رواية أعالي المدينة

لإيمانويل روبلس أنموذجا

the humanist presence in the colonialist narrative; “City Heights” by Emmanuel Robles example

بن عبد السلام بوبكر*

جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي

Ben.boubakeur@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2022 -01 -23	تاريخ التقييم: 2022 -05 -20	تاريخ القبول: 2022 -06 -15
-----------------------------	-----------------------------	----------------------------

الملخص:

تروم هذه الدراسة البحث في مسألة مدى تمثل الرواية الكولونيالية لتيمة الإنسانية، باعتبارها جنسا أدبيا لطالما عده النقاد والباحثون بوقا من أبواق الدعاية الكولونيالية، عمل على تبرير وجود هذه الأخيرة وتكريسها، لا بل وتعاطى مع الأهلي باستعلاء وفوقية، فنعتته بأبشع النعوت، معتبرا إياه مجرد ديكور للزينة ليس إلا، فإلى أي مدى استطاعت رواية "أعالي المدينة" لإيمانويل روبلس تمثل الإنسانية ؟ وهل نجح "روبلس" في تبديد تلك الصورة النمطية السلبية التي لطالما انطبعت بها الرواية الكولونيالية الفرنسية تحديدا عبر التاريخ ؟.

الكلمات المفتاحية: الإنسانية؛ الكولونيالية؛ الرواية؛ الكرامة الإنسانية؛ إيمانويل روبلس.

Abstract:

This dissection targets to dig how far the colonial novel has been embedded to develop humanitism . As it's considered one of the literature colors . It was for so long regarded by several critics and researchers a means of colonial propaganda. It was resorted to, to justify the existence of this later and its dedication. I actually exceeds that, it treated the citizens with lordliness and in demeaning way.

Building upon what's above , how successful was the novel entitled “ Heights of the city” By Emmanuel Roblès in representing humanitism ? Did Roblès nail it when it came to fading that negative routine that was

always inseparable from the French colonial novels specifically over the history ?

Key words: Humanism; novel; colonialism; human dignity; Emmanuel Robles.

*المؤلف المراسل:

1 - توطئة:

شكلت موضوعة الإنسانية هاجسا أرق تفكير الباحثين لما احتوته من مضامين عائمة ومهمة، وفي الكثير من الحالات زئبقية لا يكاد الباحث الإمساك بها، بين متعاطف معها بإعتبارها حالة ثقافية انثروبولوجية، وبين من اعتبرها حالة فكرية فلسفية، وبين آخر حاول مقاربتها من زاوية سيكولوجية سوسيولوجية.

ومن أجل إضاءة هذه الموضوعة، خاصة في شقها المتصل بالفترة الكولونيالية، سعت البعض من الأعمال الأدبية السردية الكولونيالية إلى تلمس هذه التيمة في المتون الروائية محاولة تلميع صورتها والظهور بمظهر المدافع عن الحرية والكرامة الإنسانية والتخندق مع المظلومين والمقهورين والمضطهدين.

إن الموقف الروائي الكولونيالي الذي طالما عانى من الضغوطات الجمة، الظاهرة منها والباطنة، التي مارسها عليه الأيديولوجية الكولونيالية، ولم يقو على التحرر منها إلا نادرا، صار ينزع شيئا فشيئا إلى أنسنة طرحه والدوران مع القيم الإنسانية حيث دارت، ولعل رواية " أعالي المدينة les hauteurs de la ville " لإيمانويل روبلس Emmanuel Robles واحدة من الروايات القلائل التي استطاعت أن تشذ عن التوجه العام للرواية الكولونيالية، الذي جعل منها بوقا من أبواق الدعاية الكولونيالية وأداة من أدواتها، فإلى أي مدى استطاعت هذه الرواية أن تتمثل الإنسانية ؟ وهل نجح إيمانويل روبلس في تبديد تلك الصورة النمطية للرواية الكولونيالية في ذهن الآخر ؟.

سنحاول من خلال هذه الدراسة التي اردناها مقارنة موضوعية تعتمد الوصف والتحليل، تبين حقيقة النزوع الإنساني في السرد الكولونيالي على ندرته، وهل الحديث عن الرواية الكولونيالية يستدعي بالضرورة الحديث عن التحيز والاستعلاء والنظرة

الفوقية ؟ أم أنه ليس من الموضوعية وضع جميع الأعمال الروائية الكولونيالية في سلة واحدة، ومن ثمة الحكم عليها بالجملة.

2 - في مفهوم الإنسانية :

تكاد تجمع الكثير من التيارات الفكرية والفلسفية - على اختلافها وتنوعها - على اعتبار الإنسانية خطاباً عاماً موضوعه الأساس، وركنه الركين هو الإنسان، وبالتالي فكل ما يتصل به وينتج عنه، يأتي في دائرة اهتمام الإنسانية التي تضع في صميم تطلعاتها المعرفة الإنسانية المتحولة باستمرار، كما وتحرص أيضاً على أن تكون للكرامة الإنسانية الصدارة ، بعدما كانت عرضة لأنواع شتى من الانتهاكات بإسم المهمة التمديدية تارة (la mission civilisatrice) والتفويض الإلهي تارة أخرى (Délégation divine).

يعبر، من جهة أخرى، مصطلح الإنسانية Humanisme عن مجموع الخصائص التي يتميز بها الإنسان، وقد ورد في منجد اللغة والأعلام سياقاً ما يؤكد هذا المعنى: " الإنسان جمع اناسي واناسي وأناس، البشر للذكر والأنثى، ومنها الإنسانية وهي ما اختص به الإنسان، وأكثر استعمالها للمحامد من نحو الجودة والكرم والأخلاق"¹.

كما تعددت المفاهيم والتعريفات لمصطلح "الإنسانية بتعدد المرجعيات الفكرية والفلسفية للعاملين في هذا الحقل المعرفي، وسأقتصر على إيراد البعض منها محاولاً الإحاطة - قدر المستطاع- بمختلف جوانبها.

بداية تحسن الإشارة إلى أن هناك عدد من التسميات أصبح لصيقاً بهذا المفهوم نذكر منها: الأنسنة، الإنسية، الهيومانية، النزعة الإنسانية، والإنسانية ... وقد وقع اختياري على هذه الأخيرة لكثرة شيوعها عند الباحثين والمفكرين.

كانت المفردة اللاتينية التي انتقاها " شيشرون " Cicéron " لفكرة التعليم المتوازن اليونانية هي Humanitas، وأصبح مصطلح عصر النهضة الخاص بالمواد المدروسة في مجال اللغات والآداب الكلاسيكية هو Studia Humanitatis، التي تترجم إلى الإنسانية Humanitatis، ومدرس تلك الإنسانية كان يسمى: Humanist².

ويأتي ضمن هذه التعريفات للإنسانية ، التعريف القائل بأنها: "... أي نسق من الفكر أو الفعل، يعتبر أن المصالح والقيم والكرامة الإنسانية لها الصدارة" ³ وهو تعريف مقتضب، لكنه جامع ومنسجم مع الكثير من التعريفات التي سيأتي إيرادها في هذه الدراسة.

إنّ هذا الفهم للإنسانية ينطلق من كون الإنسان هو بؤرة اهتمام هذه الفلسفة وهو ركنها الركين، وبالتالي فكل ما يتصل ويرتبط به وينتج عنه، يدخل ضمن دائرة اهتمام الإنسانية، التي تضع في صلب انشغالاتها المعرفة الإنسانية المتشعبة والمتحولة بشكل دائم، والتي تدعو إلى أن ينخرط البشر على اختلاف مللهم ونحلهم في جميع الممارسات الإنسانية، علمية كانت أو ثقافية أو سياسية...

يرى المفكران "ميجان الرويلي" و"سعد البازعي" في مؤلفهما "دليل الناقد الأدبي" أن " جذر هذه المفردة يعود إلى الإنسان، وبهذا فالإنسانية كمفهوم وكمذهب فلسفي يركز على الإنسان كمحور لتفسير الكون بأسره، و رغم أن الإنسانية تمتد جذورها إلى العصر الكلاسيكي الإغريقي والروماني وربما إلى ما قبل ذلك، إلا أنها تظل مفهوماً حديثاً لم يدخل المعجم الغربي قبل القرن التاسع عشر" ⁴.

يكرس هذا المفهوم مركزية الإنسان في الفكر الإنساني الغربي، مؤكداً على قيمته وكرامته، ومعلياً من شأنه، معتبراً إياه أعلى قيمة في الوجود، ومن ثمّ فهو يتقاطع مع غالبية المفاهيم التي عنيت بهذا المصطلح.

لم تكن كلمة "هيومانيزم" Humanisme معروفة للقدماء ولا لعصر النهضة كما يؤكد بالوك" وإنما صاغها المفكر التربوي الألماني "ف.ج. نيثامر" F.J.Neithammer عام 1808م أثناء مجادلة حول مكانة الدراسات الكلاسيكية في التعليم الثانوي، أما من طبقها في عصر النهضة فقد كان المؤرخان "بروك هاردت" Bruk Hardt و"ج.فويجت" Voigt G في كتاب إحياء الكلاسيكيات القديمة أو القرن الأول للهيومانيزم سنة 1859م ⁵.

ويعد "بالوك" أن ما يميز دعاة الإنسانية عن غيرهم هو نطاق موضوعات التفكير التي يهتمون بها حيث تدور حول استكشاف الإنسان لنفسه ولثراء الخبرة الإنسانية

ويذهب "إدوارد سعيد" إلى أن مفهوم الانسانية هو " مفهوم قديم العهد لعالم تاريخي خلقه الرجال والنساء وليس الإله، ويمكن إدراكه على نحو عقلائي، ومن ثم فإن في صميم النزعة الإنسانية تيار أنثروبولوجي فلسفي يضيف على الإنسان طابعاً مركزياً، وهو ما يحد من الدور الذي يعود إلى الإله (أو الآلهة) دون أن يمحوه بالضرورة".⁶ أما "مرشد أحمد" فيرى في مؤلفه "أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف" أن الأنسنة ظاهرة عامة في الفن، والفنان حين يؤنس الأمكنة والحيوانات والطيور والأشياء وظواهر الطبيعة، ويخضعها لعملية تفاعل حميمة مع الإنسان لتحقيق الدور الإنساني الذي أسنده إلهها، حين طمح إلى تشكيلها تشكيلاً إنسانياً ذا ملامح محددة، وتعايير بيّنة، في عمله الإبداعي يمنحها - وهو في ذروة حالته الإنفعالية - خاصيته الإنسانية⁷، ومن ثمّ فإن تعريف الإنسانية على هذا النحو يجعل منها ظاهرة فكرية تعود بالأساس إلى عصري النهضة والأنوار الذين شهدتهما أوروبا في القرنين الرابع عشر والسابع عشر على التوالي.

في حين يرى "جون بول سارتر" Jean-Paul Sartre أن ثمة مفهوماً آخر لهذه الكلمة، كلمة الهيومانية، وهو يعني في أساسه: «... أن الإنسان خارج نفسه دائماً وهو بامتداده خارج ذاته واضاعة نفسه خارج ذاته، يوجد، يستطيع أن يوجد بأن يسعى وراء أهداف متعالية، فالإنسان كائن متعال بطبعه، يتجاوز ذاته، ويعامل الأشياء معاملة مرجعها هذا التجاوز، إنه إذن في صميم التجاوز، وليس هناك من عالم آخر إلا عالم الإنسان، عالم الذاتية الإنسانية»⁸

وهذه العلاقة بين التعالي كجزء من الإنسان (ليس بمعنى أن الله متعال لكن بمعنى تجاوز الذات)، وبين الذاتية (بمعنى أن الإنسان ليس مغلقاً على نفسه دائماً ولكنه حضور أبدي في العالم الإنساني) هذه العلاقة " هي ما نسميها بالهيومانية الوجودية، وهذا هو ما نسميه بالهيومانية (أو المذهب الإنساني) ونحن نسميها بالإنسانية لأننا نذكر بها الإنسان، لأنه لا مشروع لنفسه إلا نفسه، وأنه في سقوطه عليه أن يقرر لنفسه بنفسه".⁹

وفي رسالة كتبها "مارتن هايدغر" Martin Heidegger سنة 1940، عرف الانسانية : " بأنها تلك الفلسفة التي تضع الإنسان في مركز الكون عن قصد ووعي، وتعتقد من خلال

تأويلات ميتافيزيقية معينة للوجود، في إمكانية تحرير قدراته، وتأمين حياته والإطمئنان إلى مصيره وتطوير وتنمية طاقاته الإبداعية، وبإختصار في الانسانية يتم دائما الدوران في فلك الإنسان ... في مدارات يتسع مداها باستمرار"¹⁰.

إن الإنسانية في شكلها الحديث - بحسب "هيدغر" - قد ركزت اهتمامها بالوجود متجاهلة الوجود الذي تم الزج به في غياهب النسيان، وقد اقتصر التركيز عند الإنسان الحديث على الموجود ولم يعد الاهتمام يعنى بالوجود، إن محاولة "هيدغر" هذه لتقويض النزعة الإنسانية لم تأتي من فراغ، وإنما جاءت كنتيجة للتركيز المفرط لهذه الأخيرة على الجانب الحيواني للإنسان على حساب جانبه العقلائي، وهو جوهر التعريف الأرسطي للإنسان (الإنسان حيوان عقلائي) وما لذلك من تداعيات أليمة وخطيرة على حاضر الإنسان ومستقبله.

وأخيرا جاء في كتاب "موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر" "لعبد الرزاق الدواي" أن معنى النزعة الإنسانية الذي بلورته الكثير من المصادر، والذي نكاد نجده في جميع القواميس والموسوعات هو: " أن النزعة الإنسانية في كل نظرية أو فلسفة تتخذ من الإنسان محورا لتفكيرها وغايتها وقيمتها العليا"¹¹.

وفي سياق هذا الحديث، أصبحت كلمة الإنسانية تعني كل فكرة أو كل فلسفة تخص الإنسان بمكانة مميزة في هذا الوجود، وتعزو إليه القدرة على المبادرة الحرة والإبداع، وتعتبره متحليا بالوعي والإرادة، وبالتالي مسؤولا عن أفعاله وعن تحرره، وهذا المفهوم الفلسفي غير مرتبط بسياق زمني محدد، مؤداه إعطاء قيمة للكائن الإنساني ومناهضة كل أشكال استلابه واضطهاده، هو المفهوم نفسه الذي ساعتمده في بحثي هذا والذي سأتعاطى به مع الرواية موضوع الدراسة.

3 - الرواية الكولونيالية:

تزامن ظهور الرواية مع اتساع رقعة المد الكولونيالي في مختلف أصقاع المعمورة، وقد كان لهذا التزامن دور مهم استفاد منه الطرفان : الرواية من جهة والكولونيالية من جهة أخرى، أما الرواية فقد استطاعت أن تفرض نفسها وهي الوافد الجديد في عالم الأجناس الأدبية، من خلال ما وفرته لها الكولونيالية من إمكانيات وما فتحته لها من مجالات

للتعبير، ومن جانب آخر استفادت الكولونيالية من ظهور الرواية بالنظر إلى الدور الذي لعبته هذه الأخيرة في الدعاية للقيم والأيدولوجيا الكولونيالية.

إن الحديث عن الرواية الكولونيالية في شقها الفرنسي تحديدا، يقودنا في البداية إلى محاولة الإحاطة بها من خلال تحديد مفهومها، وفي هذا الشأن تقول الناقدة والأديبة الإفريقية "مودمبي بوي اليزابيث" Boyi Elisabeth Mudimbé معرفة الرواية الكولونيالية: "إن تعريف الرواية الكولونيالية، في حده الأدنى هو قولنا إنها ذلك النوع من التخييل الروائي، الذي أنتجه رعايا الدول الأوروبية المستعمرة، تخيل ولد وترعرع في البلدان المستعمرة، التي يعتبر الاستعمار فيها مشروع مجتمع واضح المعالم، ومحين بشكل دائم، في علاقة سلطوية عمودية بين المستعمر والمستعمر" *

" Une définition minimale du roman colonial serait le type de fiction romanesque, produite par des ressortissants de pays européens colonisateurs. Fiction suscitée par, et située en pays de colonie, et dans laquelle la colonisation comme projet de société est bien claire et toujours actualisée, dans une relation de pouvoir verticale entre colonisés et colonisateurs ".¹²

تؤكد "مودمبي" في هذا التعريف على أربع عناصر تتفاعل فيما بينها لتنتج لنا رواية يمكن وسمها بالكولونيالية، وهي عنصر التخييل الروائي، وعنصر الإنسان - الرعية الأوروبية المستعمرة - وعنصر المكان - المستعمرة - وأخيرا عنصر العلاقة العمودية التي تربط المستعمر بالمستعمر والتي توجي بتلك الثنائية التقابلية التي كرستها الكولونيالية، من خلال فكرة المركزية الأوروبية، من قبيل: حاكم ومحكوم، أمر ومأمور، مستغل ومستغل، سيد وعبد.

وفي تعريف آخر للرواية الكولونيالية وللأدب الكولونيالي عموما، يقول "بيار ميل" Pierre Mille الروائي والصحفي الذي يعد أول من تحدث عن الرواية الكولونيالية والأدب

الكولونيالي وأهم منظرلهم: " إن العمل الأدبي الكولونيالي حسب رأيي، يقول "بيار ميل"، هو ذلك العمل الذي تم إنتاجه في بلد استوطنه الأوروبيون منذ زمن معين، من قبل أحد هؤلاء الأوروبيين الذين فيه ولدوا أو فيه عاشوا على الأقل لفترة امتلكو فيها توجهها ما، واستقر في جوهرهم الطبيعة والإنسان، وا قصد بذلك مرحلة المراهقة والشباب الأول، لأن فيما بعد سيكون الاقتصار على الجانب الجمالي و النفعي"

" Une œuvre de littérature coloniale, selon moi, dit Pierre Mille, serait celle qui eut été produite dans un pays où les européens sont transplantés depuis un certain temps, par un de ces européens qui est serait né ou tout au moins y aurait vécu les seules années où l'en possède une sensibilité, où on pénètre dans leur essence la nature et les hommes: Je veux dire celle de l'adolescence et de la première jeunesse, plutard on se contente du pittoresque et de l'utilité"¹³

يشترك تعريف "بيار ميل" هذا مع تعريف "مود مبي" في التأكيد على مكونين مهمين من مكونات الرواية الكولونيالية والعمل الأدبي الكولونيالي بوجه عام وهما: الإنسان – المستعمر-، والمكان – المستعمرة – لكن التباين يأتي من حيث إشادة "بيار ميل" بالكولونيالية في حين أن "مود مبي" تعتبرها وجهها من وجوه الغطرسة الاستدمارية التي كرستها تلك العلاقة العمودية بين المستعمر والمستعمر.

أما " فرانسواز هنري لورسوري " Françoise Henry Lorcerie فتعرف الرواية الكولونيالية بقولها: " نعني بمصطلح الرواية الكولونيالية تلك الرواية المرتبطة بالحدث الكولونيالي في الجزائر، وهذا مؤداه أن مصطلح كولونيالي يحيل إلى المستعمرة لا إلى الأيدولوجيا الكولونيالية " *

"Sous roman colonial nous entendons le roman lié au fait colonial en Algérie, c'est-à-dire que colonial signifie de la colonie et non d'idéologie colonialiste"¹⁴

والخلاصة التي يمكن أن نخرج بها، في تعاطينا مع الرواية الكولونيالية هي أنها عمل أدبي، أبدعه في المستعمرات، أدباء ينتمون للبلد المستعمر، وهذا بصرف النظر عن توجهاتهم الفكرية والفلسفية والأيديولوجية، وهي رؤية أقرب ماتكون من تعريف "فرنسواز لورسوري" للرواية الكولونيالية الذي سبق الإشارة إليه.

4 – تمظهرات الإنسانية في رواية أعالي المدينة:

أحسست منذ اللحظة الأولى وأنا أقرأ رواية "أعالي المدينة" لإمانويل روبلس (التي لم تترجم إلى اللغة العربية) أن النظرة التي طالما علققت في ذهني عن الرواية الكولونيالية لم تكن دقيقة تماما، بالرغم من كون الأدب الكولونيالي بوجه عام والرواية الكولونيالية تحديدا كانت بوقا من أبواق الدعاية الكولونيالية وأداة من أدواتها.

إن أحداث هذه الرواية تدور كما يوحي بذلك عنوانها في أعالي مدينة الجزائر، الأماكن المفضلة للمعمرين، إنها أعالي "بوزريعة" التي يعرفها جيدا صاحب هذا العمل، والتي عاد إليها بعد أن قضى بعض السنوات مراسلا صحفيا حربيا للقوات الجوية الفرنسية أثناء الحرب العالمية الثانية، وبعد مكوثه لبعض الوقت في باريس -عقب انتهاء هذه الحرب- ناشطا في نواديها الأدبية، وباصطفافه مع المهمشين وانتصاره لهم، يكون "روبلس" قد نقل الرواية من كونها ملحمة للطبقة البورجوازية عند نشأتها، إلى العناية بالمهمش مكانا وزمانا وشخصيات، هذه العناية والتعاطف يقابلها احتقار وبغض للمهمش، وبهذا يكون "روبلس" قد حدد هدفه واختار وجهته.

يهدي "إمانويل روبلس" هذه الرواية إلى صديقه وزميله في المدرسة العادية "ببوزريعة" "أحمد سماعيلي" الذي تم طرده منها بسبب انتمائه الفكري للشيوعية، ثم الحكم عليه بالإعدام في ظل حكومته "فيشي"، لكن القدر شاء أن تكون نهايته في حادث سيارة لا تحت مضاء المقصلة.

إنها لفئة تنبئ عن دماثة خلق "روبلس"، وعن روحه الإنسانية العالية، إن عالم هذا الكاتب هو خلاصة عالم القيم والالتزام، عالم المثل والفضائل، يقول "مولود فرعون"

عن هذه الحادثة : " كان " روبلس " أكثر واحد فينا تألما لفقدان هذا الصديق، وأذكر أنه أول من بكاه، وإني لأعتقد أنه لن ينس "س" أبدا " *

"Roblès, plus que tout autre, était affligé de perdre un ami. Je crois qu'il fut le premier à pleurer et je sais que jamais il n'oubliera s"¹⁵

ويأتي تصدير هذه الرواية التي جرت أحداثها في بداية الحرب العالمية الثانية، وفي زمن لجنة الهدنة الإيطالية الألمانية " Commission d'armistice italo-allemande "، ليكرس التوجه الإنساني الصريح لهذا الأديب، الذي أعلن صراحة بأن على المضطهد أن يثور ضد اضطهاده وأن على الممتحنة كرامته أن ينتقم، إنها إذن دعوة ضميمة إن لم نقل صريحة للثورة على كل أشكال الظلم والاضطهاد، ودعوة أيضا للتححر من قيود الاستعباد والاستغلال، وهذا ما يجعل بعض النقاد يعدون هذه الرواية إرهابا حقيقيا للثورة التحريرية.

يقول " روبلس " في تصديره لهذه الرواية في هذا الشأن: " بعد نشر أعالي المدينة بست سنوات، أخذت صور الحرب تطبع واقع الجزائر، فخرج الآلاف من أمثال "إسماعيل" من دياحي ظلماتهم، مشاعلهم بأيديهم، وكلهم عزم وتصميم على استعادة كرامتهم " *

"Six ans à peine après la publication des "hauteurs de la ville", l'Algérie prenait son visage de guerre, par milliers, des "smaïls" décidés à conquérir leur dignité ont surgi du font de leur nuits, la torche au poing"¹⁶

بل إن " روبلس " يذهب بعيدا في توصيفه لحيثيات تلك المرحلة التاريخية عندما يحاول تبرير العنف الذي لجأ إلى الشعب الجزائري أثناء مطالبته بحقوقه، حتى وصل به الأمر إلى حد شرعنته في قوله : " إن المستقبل لم يعد يقدم أي أمل للشباب الجزائري، فعقلية النظام الكولونيالي كبنياته، جعلت هؤلاء يصطدمون بحائط صلب دون أية إمكانية للولوج لعالم أكثر عدالة، وحتما سيكون نتيجة لذلك الإتجاه نحو العنف " *

"Aux jeunes Algériens, l'avenir n'offrait aucun espoir, l'esprit, comme les structures mêmes du régime colonial, les destinaient à buter contre un mur, sans la moindre possibilité de percée, d'ouverture sur un monde plus

équitable, une découverte de ce genre conduit déjà, à coup sûr, à la violence"¹⁷

كان "إسماعيل بن لخصر"، بطل هذه الرواية، كثيراً ما يصعد من الأسفل، حيث يقيم هو إلى الأعلى حيث يتواجد عدوه، إنها محاولة الهامش الرد على المركز، وبهذا يكون لهذا الهامش -المقصى على أرض الواقع - وجوداً جديداً على الورق ليحتل مركز المتن الروائي صانعا وفاعلا ومؤثراً فيه.

إن رغبة "إسماعيل" في الانتقام بعنف من "ألمارو" أخذت تتطور شيئاً فشيئاً بتطور السرد، إلى أن تحولت بشكل لافت من انتقام شخصي إلى انتقام لشعب بأكمله، أهين واضطهد ونكل به فوق أرضه وتحت سمائه، من طرف الكولونيالية التي مثلها "ألمارو" وزمرته في هذا العمل.

وقد ركز "روبلس" على الأحداث والوقائع، فجاء عمله هذا مزيجاً من التحليل الصحفي والسرد الروائي متماشياً مع الطفرة التي شهدتها الرواية في تلك المرحلة، خاصة في فرنسا والولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية.

وتنتهي الرواية بأن تلقي الشرطة القبض على "إسماعيل" في محطة القطار بوهران، ليواجه مصيره المحتوم، بعد أن كان قد تحرر نفسياً بقتله "ألمارو".

إن هذا المصير - الموت- يعتبر البطل الحقيقي لجميع أعمال "روبلس" الروائية منها أو المسرحية، إنه الحل الوحيد لمن لا يستطيع تحمل ذلك الشعور المتناقض المتمثل في الرغبة في الحياة الكريمة والحرّة والعادلة، التي يتعايش فيها الجميع دون اعتبار للعرق أو الدين أو اللغة، والواقع الذي يرفض هذه الرغبة ويفرض منطق الهيمنة والاستغلال والاستعباد، إن هذا الشعور هو العبث بعينه الذي تحدث عنه "ألبر كامو" Albert Camus.

إن هذا العمل الروائي - الذي لم ينل حقه من الدراسة والتحليل في تقديري - يعد صرخة مدوية لكل مستضعف يرفض التسلط والحقن والكرهية، ويأمل في صبح تبزغ فيه شمس الأمل والكرامة والحرية.

4 - 1 الفعل المحرر:

أفضى تطور السرد في أعالي المدينة إلى وصول البطل إلى الفعل الذي حرره من الداخل، فمن المهانة والمذلة التي فرضت عليه، ولدت روح التمرد و الثورة من أجل استعادة الحقوق المسلوبة، إن الإنسان كما يقول "كامو" هو "الكائن الوحيد الذي يرفض أن يكون على ما هو عليه، أو بمعنى آخر، هو الكائن الذي لا يرضى أبداً عن كيانه، فهو دائم السعي إلى تغييره والعلو عليه، فالتمرد بهذا المعنى موجود في كل تجربة إنسانية"¹⁸، يقول "إسماعيل بن لخضر": « بدا لي مذ رجعت أمام منزل "ألمارو" أنني لم أعد غريباً في مدينتي، وبدا لي أيضاً - لأنني أصبحت أكثر وعياً بالقرار الذي اتخذته- أنني من الآن فصاعداً، سأسير عبر شوارعها كما أسير في ميدان شاسع، فلا الناس ولا الأشياء ترفضني» *

"Il me semble que depuis que j'étais revenu devant la maison d'Almaro, je n'étais plus étranger dans ma ville, il me sembla que désormais, et parce que j'avais davantage pris conscience de ma décision, j'allais pouvoir marcher à travers ses rues comme à travers un domaine où ni les hommes ni les choses ne me refusaient plus"¹⁹

إن وعي "إسماعيل" بالقرار الذي اتخذته كان فعلاً محرراً له، لقد تحرر من كل ما يمكن أن يشل حركة هذا الوعي، أو أن يثقل كاهله كالتسليية ورتابة الحياة اليومية والانهازمية.

4 - 2 سعي إلى التكافؤ:

حاول "روبلس" أن يجعل من الصراع الحاصل بين "إسماعيل" و"ألمارو" صراعاً متكافئاً متجنباً، تلك الصورة النمطية التي كثيراً ما صورت العربي في الأعمال الروائية، بربرياً متوحشاً حاملاً لسكين بائسة، لا يقوى على مواجهة عدو مدجج بالأسلحة المتطورة، وهذا ما جعل "إسماعيل" يحس بالانهزام أمام "ألمارو"، ويتجلي ذلك في قوله: « لم تكن هذه الفكرة لتصيب قلبي بالحسرة، بل الحقد، كوني وجدت نفسي مرة أخرى تحت رحمة "ألمارو"، وكوني مجبراً على الهروب لأنني لم أكن أملك سوى سكين بائسة، وكوني أيضاً أعترف بأنني منهزم، دوماً منهزم، دوماً مهان» *

"ce n'était pas cette idée qui faisait cogner mon cœur tumultueusement mais bien la rancœur d'être une fois encore à la merci d'Almaro, d'être obligé de fuir parce que je ne possédais qu'un couteau misérable, de m'avouer vaincu, toujours vaincu, toujours humilié"²⁰

لقد أرادها "روبلس" معركة ندية ومتكافئة من حيث العتاد، "والغلبة بعد ذلك ستكون بالتأكيد لصاحب القضية العادلة والحجة القوية.

4 - 3 تناقص بين عالم المثل في المدرسة والواقع المعيش:

يقول "إسماعيل" في معرض حديثه عن المدرسة الفرنسية التي تلقى فيها تعليمه، وعن القيم التي كانت تسوق هناك: "قد تعلمت أشياء كثيرة في المدرسة، تعلمت أن الناس يولدون أحرارا ومتساوين في الحقوق، وأنه يجب احترام حقوق الغير، كما أن أجمل مصير هو أن تموت لأجل وطنك، إن هذا لهو الجدير بالرغبة" *

"j'avais appris tant de chose à l'école, et que les hommes naissent libres et égaux en droits, et qu'il faut respecter les droits d'autrui et que mourir pour la patrie et le sort le plus beau, le plus digne d'envie"²¹

ويضيف "إسماعيل" قائلا في نفس هذا السياق: "إن العالم الذي وصفه لي معلمي في المدرسة، كان عالما مثاليا، لم أستطع يوما إسقاط صورته على صور الواقع المعيش...» إن الجمهورية تناديكم فإما النصر وإما الشهادة « إن هذا النشيد أيضا علمه لي معلمي، فمن بين كل أنشوداتي المدرسية، كان لهذا النشيد ميزته السحرية" *

"le monde que mon maitre m'avait décrit à l'école était un monde fabuleux dont je n'avais jamais pu superposer les images à celles de la réalité ...« la république nous appelle, sachons vaincre ou sachons mourir » ... ce chant aussi on me l'avait appris, de tous mes chants scolaires, celui là possédait un vertu magique"²²

إن هذه القيم الإنسانية التي يتحدث عنها معلم "إسماعيل" تعد الحضارة الإنسانية كلا متكاملا، لذلك فهي تدعو لبناء عالم إنساني متكافئ، عالم ينبذ كل أشكال التمييز والتطرف مهما كانت جلده، وعالم تسود فيه قيم الحرية والعدالة والمساواة، وفي هذا اعتراف بأخيرة الآخر (هويته، تاريخه، حضارته، عاداته، تقاليده...).

إن التضحية في سبيل هذه القيم الإنسانية في نظر "روبلس" هي أجمل خاتمة يمكن أن ينهي بها الإنسان حياته، لكن ثمة انفصام بين هذا العالم المثالي، الذي وصفه معلم "إسماعيل" في المدرسة، والواقع الذي يعيشه "إسماعيل" بمآسيه وآلامه وآماله.

4 - 4 عنصرية مقبلة:

إن النظر إلى الآخر من فوق - نظرة استعلائية عنصرية - يغذي الكراهية والحقد ويكرس التعصب والتطرف ويدمر المجتمعات، وهذه كلها إفرازات للفلسفة التي يقوم عليها البناء الاستعماري، إن "إسماعيل" مثله مثل أي مضطهد من أبناء جلدته، يتعرض باستمرار لمثل هذه السلوكيات العنصرية المقبلة، وقد كان تعرض لموقف من هذا القبيل وهو رفقة "مونيك"، يقول عن ذلك: "أذكر أننا تقاطعنا في السير مع امرأة أوروبية مسنة، لكنني لم أعر أي اهتمام لنظرتها المدينة تلك: أيعقل! فرنسية مع عربي! لكن هذه النظرة أيضا لم تؤثر على السعادة الجديدة" *

"Je me souviens aussi qu'une vieille dame européenne nous avait croisés et que je ne m'étais pas soucié de son regard réprobateur, pensez! Une française avec un arabe!, non, ce regard non plus n'avait pas de prise sur ce bonheur tout neuf"²³

لكن "إسماعيل" وبثقته في نفسه استطاع أن يتجاوز هذا الاستعلاء الغربي، وأن يكون ندا عنيدا لمن يجزؤ على استصغاره.

4 - 5 النموذج الفرنسي في التضحية:

كان للموعد الذي ضربه "فرننيز" "إسماعيل" لملاقاة "فورنييه" Fournier أهمية بالغة بالنسبة "إسماعيل"، لأنه يريد أن يرى عن قرب، ويتعرف على ذلك الذي شقق بيديه ضابطا ألمانيا نازيا محتلا، تنفيذا لأوامر قيادة المقاومة الفرنسية، يصف "إسماعيل" لحظة

التقائه "بفورنييه" بقوله: "يبدو أن صاحب النظارات هو "فورنييه"، قاتل الضابط الألماني، أظن أنه لم ينتابني فضول قط، لمعرفة شخص ما، كالذي انتابني هذه المرة، كما أنه لم يجذبني بقوة، شخص أجهله كما فعل هذا الفتى" *

"le type à lunettes, ce devrait être Fournier, l'assassin de l'officier Allemand, jamais je n'avais éprouvé, je crois, une telle curiosité pour un être, jamais un inconnu ne m'avait attiré avec autant de force que ce garçon"²⁴

إنها الرغبة الجامحة "لإسماعيل" لأن يصير النظير الجزائري "لفورنييه" الفرنسي، نظيرا له في التضحية بحياته وركوبه لكل أنواع المخاطر، ومواجهته لشتى الصعاب والعقبات الكأداء، أملا في حياة كريمة، ووطن سيد وشامخ شموخ الجبال.

4 - 6 دروس في الولاء للوطن:

قبل "إسماعيل" بعد إلحاح من "فرانديز" بأن يرافق "فورنييه" ويساعده على الهرب إلى المغرب، خوفا من أن يقع بين أيدي الشرطة، فاستقلا قطارا باتجاه وهران ثم آخرًا باتجاه مدينة وجدة المغربية، وأثناء هذه الرحلة يدور بينهما حوار حاول فيه "فورنييه" تقديم نفسه كنموذج فرنسي في التضحية، يعيش لفكرة يلتزم بها ويضحي من أجلها، يسأله "إسماعيل" في البداية عن الضابط الألماني قائلا:

- هل كنت تكرهه ?? Tu le détestais ?

فيجيب "فورنييه": « ككل النازيين، إن بناء إنسان غير ذلك الحيوان الرفيع، يتطلب القرون من الكد، من أجل إعطاء الوجود الإنساني كرامة فريدة من نوعها، وهؤلاء القوم! »

*

« Comme tous les nazis, des siècles pour faire des hommes autre chose que des animaux supérieurs, pour donner à l'existence humaine une irremplaçable dignité, et ces gens là »²⁵

إن الاستثمار في بناء الإنسان الواعي هو اللبنة الأولى التي يتشكل منها صرح الحضارة الإنسانية، إن عملية البناء هذه صعبة وشاقة وطويلة، وقد تستغرق السنين بل القرون أحيانا، قبل أن يؤدي هذا البنيان أكله وصدق "صالح بن عبد القدوس" حين قال:

متى يبلغ البنيان يوما تمامه $\bar{O}$ إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

ويعلق "فورنييه" عن حادثة قتله للضابط الألماني قائلا: " ليس في ما يشير إلى أي قاتل. أو ما يصطلح عليه بالقاتل. إن هذه الحرب فرضت علينا فرضا، فإما أن نقتل وأما أن نقتل، في حين أنني أضع بلدي عاليا جدا " *

" je n'ai rien d'un tueur. Ce qu'on appelle un tueur. C'est que cette guerre nous a été imposé, détruire ou être détruit ... or je place mon pays très haut

26"

إن البون شاسع بين من يقتل انتقاما للنفس وانتصارا لها، أو لمصلحة دينوية ضيقة يصيها، وبين من يقدمون على هذا العمل البطولي إحقاقا للحق وذودا عن المقدسات وتكريسا للقيم الإنسانية الخالدة، إن التاريخ سيسجل بأحرف من نور تضحيات هؤلاء، وهؤلاء هم من سيكتبون تاريخ الإنسانية الحقيقي.

إن منطق "فورنييه" هذا هو منطق كل مقاوم يريد أن ينتصر لقضيته، وهو المنطق نفسه الذي تشكل لدى "إسماعيل"، يعلق "جورج ألبير آستر" على هذه المسألة فيقول: " إن التحالف بين المقاوم الجزائري والمقاوم الفرنسي "فورنييه" وحد ممثلي الشعبين في المعركة نفسها، وهي العلاقة التي أسس فهمها سنوات من بعد ذلك، ومن وراء "ألمارو" الذي أزهقت رصاصات "إسماعيل" روحه وأنته حياته الخسيسية، فهناك كل الأنظمة المستبدة بكل أدواتها المحرصة والمنفذة، والمسؤولين فيها عن الاضطهاد والجرائم. إن الشعب الجزائري هو الذي كان يكافح - في نهاية الأمر- في أعالي المدينة " *

« L'alliance du résistant algérien et du résistant Français (Fournier) unissait dans un même combat les résistants des deux peuples: c'est précisément cette relation dont le sens fut si mal compris, quelques années plus tard... Au-delà d'Almaro dont la vie abjecte s'achève sous les balles de Smail , il y a tous

les complices, tous les exécutants des régimes d'oppression, tous les responsables des tyrannies et des génocides. C'est bien le peuple, finalement qui combattait dans les hauteurs de la ville »²⁷.

ويستطرد "فورنييه" في حديثه فيقول: " إن فرنسا بالنسبة إلي، ليست مجرد مساحة شاسعة من أراضٍ جديرة بالمحبة، وأناس أنا مرتبط معهم في السراء والضراء، إنها أيضا حضارة " *

« A mes yeux le France ce n'est pas uniquement un vaste hexagone de terres aimables et des masses d'individus auxquels je suis lié pour le meilleur et pour le pire. C'est aussi une civilisation »²⁸

إن "إمانويل روبلس" يحاول في هذا المقطع من الحوار أن يستدعي التاريخ بالقول على لسان "فورنييه" أن فرنسا ليست ذلك الحيز الجغرافي فحسب، وإنما هي حضارة ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، إنه استدعاء للحضارة الإغريقية الرومانية وحضارة عصر النهضة والأنوار.

ويوضح "فورنييه" وضعه داخل هذه الحضارة بقوله: " حضارة أحس فيها بالارتياح، وتكون نفسي فيها غاية في الانبساط والسعادة والحرية، وفيها أجد كل أبعادي وتطلعاتي، إنني لم أكن لأقدم على هذا الفعل لو أنني لم أكن متأكدا تماما بأن الحفاظ على هذه القيم يستدعي تلك التضحية، أو إن شئت ذلك الاغتيال " *.

« Une civilisation dans laquelle je me sens à l'aise, où je peux m'épanouir librement, trouver mes dimensions. Je n'aurais pas tué sans la certitude que la sauvegarde de ces valeurs exigeait ce sacrifice, ou si tu veux: cet assassinat »²⁹.

ثم يضيف قائلا: " إننا نقتل كما نقتل من أجل الوطن " *.

« on tue comme on meurt pour sa patrie »³⁰

إن "فورنييه" وهو يتكلم عن فرنسا الحضارة وما تتيحه من رغد العيش وهنيئه، وما تحمله من مبادئ وقيم، ربما يشير ضمناً إلى تلك القيم التي كرستها الثورة الفرنسية بإعتبارها حدثاً تاريخياً هاماً، ليس في مسيرة فرنسا التاريخية فحسب وإنما في تاريخ العالم بأسره، لما رسخته من مبادئ، وكرسته من قيم، فأصبحت بذلك إحدى المرجعيات السياسية والاجتماعية في العالم المعاصر.

إن هذه المبادئ وتلك القيم تستحق فعلاً التوضيح من أجلها، وأن الوطن الذي نعيش فوق أرضه وتحت سمائه في رحاب هذه القيم والمبادئ، يستحق أن نقاتل لأجله، فنقتل أو نقتل وصدق "شيشرون" Cicéron خطيب روما المميز وفيلسوفها حين قال: لست أسفاً إلا لأنني لا أملك إلا حياة واحدة أضحي بها في سبيل الوطن.

وفي رد فعله على كلام "فورنييه" عن فرنسا القيم والمبادئ، وفرنسا الحضارة يقول "إسماعيل": "أقول بشيء من التهكم: ربما قد لا أقوى على التأقلم مع هذه الحضارة التي تدعيها، إنني لم أستطع أن أجد فيها ما وجدته أنت من انبساط وسعادة وحرية" *

« je dis avec une légère pointe de moquerie : peut être suis-je imperméable à cette civilisation que tu vantes, je ne parviens pas, comme toi et m'y épanouir »³¹

فيجيبه "فورنييه" قائلاً: "إنهم بالفعل يشوهونها كثيراً في هذا البلد، أنهم يشوهون حتى الحضارة العربية بالرغم من أنها حضارتهم" *

« C'est qu'en effet on la défigure assez dans ce pays, mais on y défigure jusqu'à la civilisation arabe, qui est pourtant la sienne »³²

يحاول "فورنييه" في رده هذا إيجاد تبرير لتلك الازدواجية في الخطاب – فالخطاب الذي يتم تسويقه في الميترربول ليس هو نفسه الذي يسوق في المستعمرات، بل إنه النقيض له تماماً – مدعياً أن هناك زمرة من أمثال "ألمارو" تريد ليس فقط تشويه سمعة الحضارة الفرنسية، بل حتى الحضارة العربية وهو ادعاء بحاجة إلى سند أكثر إقناعاً.

5 - خاتمة:

عمدت الإنسانية في الأدب إلى الانحياز إلى كل ما هو إنساني، وإلى التعبير عن إنسانية الإنسان، مساهمة في فضح الانتهاكات والتجاوزات التي مست القيم الإنسانية، وتأسيساً عليه، تم تصنيفها ضمن الفلسفات التي اختارت الاصطفاً إلى جانب قوى الخير. وقد تضمنت الكثير من المتون الروائية هذه القيمة، مؤكدة أن لفن الرواية بالفعل دور في البحث عن الإنسان، ومكرسة العلاقة المتبادلة بين الفن الروائي والإنسان،

لقد استطاعت رواية أعالي المدينة "إمانويل روبلس أن تشد عن القوالب السردية النمطية التي كانت موضوعة رائجة في المتون الروائية الكولونيالية، والتي لطالما صورت الأهالي بأبشع الصور وأقبحها، وها هو "إمانويل روبلس" يقول بعنف، الشيء الذي كان من الضروري أن يقال، أن يقاوم المضطهدون المضطهدين على طريقة "إسماعيل بن لخصر" وأن ينتقموا لكل تلك الجرائم والتسلط والإهانة التي لحقت بهم.

إن "روبلس" يجعل من مسألة الانتقام من "ألمارو" ضرورة ملحة وفعل واع، إن قتل "ألمارو" هو قتل للفاشية الداعمة للنازية والحليفة لها، وهو في الوقت نفسه قتل ضماني للكولونيالية، الوجه الآخر للفاشية والنازية، إنه انتقام للمستعمر من المستعمر.

وضع "روبلس" - الذي اعتاد على اختيار شخصياته من التاريخ والواقع والأسطورة - لهذه الرواية بطلاً خارج المواصفات التي ألفتها الدوائر الأدبية الفرنسية في مجال العمل الروائي، إنه بطل جزائري حقيقي، إنه بطل إيجابي، إنه "إسماعيل بن لخصر"،

لقد انتصر "إمانويل روبلس" في هذا العمل الروائي إلى القيم الإنسانية، وهنا تكمن عظمة هذا الكاتب والمبدع والأديب الذي نهل من من هذه الأخيرة مادته، وصنع منها آليات وأسلحة مضادة ضد قوى الشر التي سعت لفرض قيمها على سائر البشر. وبهذا عبر "إمانويل روبلس" عن إنسانيته، وبالتالي عن حريته التي من دونها كان سيفقد حتماً قدرته على التعبير.

إن عظمة الكاتب تكمن في أن يكون إنساناً. إن هذه الثمار التي أنتجها الفكر الإنساني عبر مختلف مراحل تطوره، تجعلنا نقر بأن الإنسانية لم يأفل نجمها، بالرغم من كل محاولات تقويضها.

6 - الاحالات والهوامش:

*ترجمة الباحث .

- ¹- معلوف لويس، منجد اللغة والأعلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، د.ط، 1969، ص19
- ²- عاطف أحمد، النزعة الإنسانية في الفكر العربي، دراسات في النزعة الإنسانية في الفكر العربي الوسيط، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، مصر، د.ط، 1999، ص11.
- ³- بهاء الدين محمد مزيد، النزعة الإنسانية في الرواية العربية وبنات جنسها، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2007-2008، ص52.
- ⁴- الرويلي ميجان والبارعي سعد، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002، ص47.
- ⁵- عاطف أحمد، النزعة الإنسانية في الفكر العربي، دراسات في النزعة الإنسانية في الفكر العربي الوسيط، المرجع السابق، ص10.
- ⁶- سيث سانجاي، النزعة الإنسانية إلى أين؟ ، مجلة رسالة اليونسكو، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم، السنة 64، العدد 4، باريس، أكتوبر، ديسمبر 2011، ص6.
- ⁷- مرشد أحمد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، د.ط، 2009، ص9.
- ⁸- سارتر جون بول، الوجودية مذهب انساني، ترجمة عبد المنعم الحفني، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1964، ص64.
- ⁹- المرجع نفسه، ص65-66.
- ¹⁰- الدواي عبد الرزاق، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر (هيدغر - ليفي ستروس-ميشال فوكو)، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ص43.
- ¹¹- الدواي عبد الرزاق، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر (هيدغر - ليفي ستروس-ميشال فوكو)، المرجع السابق، د.ط، ص191.
- ¹² - Elisabeth Mudimbé boyi, Essai sur les cultures en contact: Amériques, Afrique, Europe, karthala, paris, France, p 61.
- ¹³ - Cario Louis et Régismanset Charles, l'exotisme, mercvre de France, paris, p 262-263.
- ¹⁴ - Henry Lorcerie Françoise, Revue Algérienne des sciences juridiques, économiques et politiques, volume XI, N°: 01, mars 1974, p 86.
- ¹⁵ - Feraoun Mouloud, l'anniversaire, Erag éditions, 2em= édition, Alger, Algérie, 1995, p 68.
- ¹⁶ - Roblés Emmanuel, Les hauteurs de la ville, le seuil, paris, France, 2ème= édition 1960, p 8.
- ¹⁷ - Roblés Emmanuel, Les hauteurs de la ville, op. cit, p 8.

- ¹⁸ - مكاي عبد الغفار، البير كامو: محاولة لدراسة فكره الفلسفي، المرجع السابق، ص 111-112.
- ¹⁹ - Roblés Emmanuel, Les hauteurs de la ville, op.cit, p 69.
- ²⁰ - Opcit, p 31.
- ²¹ - Opcit, p 46.
- ²² - Opcit, p 46/47.
- ²³ - Opcit, p 86.
- ²⁴ - Opcit, p 120.
- ²⁵ - Opcit, p 130.
- ²⁶ - Opcit, p 131.
- ²⁷ - Astre Georges Albert, Emmanuel Roblès ou le risque de vivre, op.cit, p 129-130.
- ²⁸ - Roblès Emmanuel, Les hauteurs de la ville, op.cit, p 131.
- ²⁹ - Opcit, P 131
- ³⁰ - Op.cit, P 131.
- ³¹ - Op.cit, P 131.
- ³² - Op.cit, P 132.

7- قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابراهيم زكريا، مشكلة الإنسان، دار مصر للطباعة، القاهرة.
- 2- بهاء الدين محمد مزيد، النزعة الإنسانية في الرواية العربية وبنات جنسها، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، 2007.
- 3- رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1988.
- 4- سيث سانجاي، النزعة الإنسانية إلى أين؟، مجلة رسالة اليونسكو، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم، السنة 64، العدد 4، باريس، أكتوبر، ديسمبر 2011.
- 5- سارتر جون بول، الوجودية مذهب انساني، ترجمة عبد المنعم الحفني، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1964.
- 6- عاطف أحمد، النزعة الإنسانية في الفكر العربي، دراسات في النزعة الإنسانية في الفكر العربي الوسيط، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، مصر، 1999.
- 7- عبد الرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر (هيدغر - ليفي ستروس-ميشال فوكو)، المرجع السابق سوريا، 2009.
- 8- .. كيجل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2011.
- 9- مكاي عبد الغفار، البير كامو: محاولة لدراسة فكره الفلسفي.
- 10- معلوف لويس، منجد اللغة والاعلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1969.

- 11- ميجان الرويلي والبازعي سعد، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002 .
- 12- مرشد أحمد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق،
- 13- محمد اركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي – جيل مسكويه والتوحيدي – ط1، تر: هاشم صالح، دار الساقى، بيروت ، لبنان، 1997.
- 14- نيتشة فريدريك، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة فليكس فارس، دار القلم، بيروت، لبنان.
- 15- Astre Georges Albert, Emmanuel Roblès ou le risque de vivre, Grasset, Paris, France, 1987.
- 16- Emmanuel Roblés, Les hauteurs de la ville, le seuil, paris, France, 2ème= édition 1960.
- 17- Elisabeth Mudimbé boyi, Essai sur les cultures en contact: Amériques, Afrique, Europe, karthala, paris, France.
- 18- Feraoun Mouloud, l'anniversaire, Erag éditions, 2em= édition, Alger, Algérie, 1995..
- 19- Henry Lorcerie Françoise, Revue Algérienne des sciences juridiques, économiques et politiques, volume XI, N°: 01, mars 1974.
- 20- Louis Cario et Charles Régismanset, l'exotisme, mercvre de France, paris.